

وتشمل أبواب الكتاب سجلاً بأهم أحداث الشرق الأوسط، تبدأ بالعام ٩٠٠٠ ق.م. وتنتهي في العام ١٩٨٥ م. وهو عام اعداد الكتاب. يلي سجل الاحداث خمس خرائط، توضح أربع منها وضع اليهود في الشرق الأوسط منذ رحلة ابراهيم (ابراهيم) من مدينة أور على ضفاف دجلة الى أرض كنعان، حتى وضع اسرائيل الحالي في فلسطين المحتلة. ثم استعرض، في مقدمة الكتاب، الوضع العام في الشرق الأوسط بشكل عام، مركزاً على المآسي التي واجهتها هذه المنطقة من العالم؛ إذ «تميز تاريخ الشرق الأوسط بمعاناة وتناحر هائلين بين شعوبه» (ص ٢٥)؛ كما استعرض مواقف الأطراف المعنية مباشرة بوضع الشرق الأوسط، سواء المحلية أو الدولية. وفي الفصول اللاحقة، استعرض مواقف كل دولة من الدول المعنية مباشرة بهذا الصراع، بدءاً بإسرائيل، فسوريا، فلبنان، فالفلسطينيين، فالأردن، فمصر، فالعربية السعودية. واختتم كارتر كتابه بتصور حول مستقبل الحل السياسي لمشكلات المنطقة؛ كما ذكّر بعدد من الملاحق - الوثائق المتعلقة بقضية الصراع العربي - الاسرائيلي؛ إذ ان الكتاب يعني «بذلك القسم من الشرق الأوسط المشتغل على المناطق الأكثر تورطاً في الصراع حول مستقبل الأرض المقدسة، اسرائيل وجيرانها (مصر، والأردن، وسوريا، ولبنان، والمناطق المحتلة المشتملة على الضفة الغربية وقطاع غزة) والمملكة العربية السعودية. ولربما كان الشرق الأوسط أكثر المناطق تقلباً واشتقاء في العالم، ومنطقة جعل منها عدم ثباتها أكبر تهديد للسلام العالمي، وبصورة شبه أكيدة» (ص ٢٧).

الأسطورة والتاريخ وعلاقتهما بالصراع الراهن

كتب كارتر ان نقاشاته مع الرئيس المصري، أنور السادات، ذكّرت «بأخوة العربي واليهودي، كونهما ابنين لابراهيم... [ودفعته] لاعادة تفحص القصة التوراتية حول ابراهيم والأول من ذريته، وامتعناً في أولى مغامراتهم من وجهة نظر العرب والمسيحيين واليهود على السواء؛ فكيف اتفق لمؤمنين بتاريخ واحد، وعلى اختلافهم، ان اقتنعوا بأن كلاً منهم هو شعب الله المختار» (ص ٢٨). وأضاف، ان موضوع الديانات التوحيدية الثلاث كان مجال نقاش واسع خلال لقاءاته مع السادات ومناحيم بيغن «وأثرها على العلاقات القديمة، والراهنة، بين شعوب الشرق الأوسط؛ وكذلك أثرها علينا نحن كأفراد - كيهودي وكمسلم وكمسيحي - يبحثون عن السلام» (ص ٣١). ف «لليهودية، كما للاسلام، تأثير عميق على الحكومات وعلى السياسة العامة في اسرائيل والبلدان العربية» (ص ٣٢). وهذا الجانب الديني كان له أثره في تفكير الرئيس كارتر، حيث كتب: «بالنسبة لي، لم يكن من سبيل للوصول، أو الدخول، الى اسرائيل دون الرجوع، أولاً، الى الكتاب المقدس، وتاريخ البلد، وشعبه. فالأسماء والصور قد أمست جزءاً مكملاً لحياتي، كمسيحي، منذ زمن طويل؛ لكن العديد منها اتخذ مدلولاً مختلفاً بالكامل، وجديداً مذ أصبحت رئيساً للولايات المتحدة، وشاركت في حياة، أو موت، المفاوضات الهادفة لحل بعض مشاكل القرن العشرين. وبالواقع، من النادر ان تجد الماضي البعيد منجداً بالحاضر الآتي على هذا النحو، ليس فقط أمام رجال الدين وأساتذة التاريخ... بل، أيضاً، أمام رجال الدولة في قاعات الحكم، وأمام القادة العسكريين في ساحة المعركة» (ص ٤٩ - ٥٠). وحسب هذا المنطق، تركز التاريخ القديم لمنطقة الشرق الأوسط والوضع الراهن فيها لدى الكاتب حول اليهود، الذين منذ «حكم الملك داود استمر مفهوم الأمة اليهودية [لديهم] على قيد الحياة، مع ان الشعب اليهودي شتّت بين امم العالم قاطبة؛ فقط القليل الباقي تدبّر أمره وحافظ على بقائه في فلسطين في ظل حكم فاتحيها العديدين. بدورهم، استمر المسيحيون والمسلمون العرب في العيش على الأرض نفسها، لكن دون أمل، أو حتى أدنى تفكير في تأسيس أمة مستقلة ومنفصلة؛ وجلّ اهتمامهم انصب حول العائلة، والقبيلة، والعالم الاسلامي الواسع بالنسبة الى المسلمين منهم. ان الافكار القومية القوية اخذت تتبلور (بين العرب) فقط في الخمسين سنة الأخيرة، بعد أن رأوا الهجرة الصهيونية الى فلسطين... [و] في صراعهم من أجل تقرير المصير، وأحياناً وسط اراقة الدماء، عاش اليهود والفلسطينيون كجيران قلقين في ظل السيطرة البريطانية حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية وتأسيس دولة اسرائيل» (ص ٥١).

وانطلاقاً من مركزه الكاتب للتاريخ حول اليهود، اعتماداً على التاريخ المدون في التوراة، تصبح سوريا هي الأرض التي عبرها ابراهيم في طريقه الى أرض كنعان، حيث توقف «في دمشق، عاصمة سوريا؛ تلك